المكتبة الخضراء للأطفال

عروس البحر



عادل الغضبان

دار المعارف

المكتبة الخضراء للأطفال

١٣

عروس البحر

بقلم: عادل الغضبان

الطبعة السادسة



دار المعارف



كَانَ الْمَاءُ فِى بَحْرٍ مِنَ الْبِحَارِ الْبَعِيدَةِ ، أَزْرَقَ صَافِيًا ، يُحَاكِى زُرْقَةَ السَّمَاءِ وَصَفَاءَ الْبِلَّوْرِ ، وَكَانَ عُمْقُ ذٰلِكَ الْبَحْرِ آلَافَ آلَافِ الْأَمْتَارِ ، فَمَا مِنْ سَفِينَةٍ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرْسُوَ عَلَى سَطْحِهِ ، وَلَا مِنْ مِرْسَاةٍ مَهْمَا طَالَتْ حِبَالُهَا يُمْكِنُ أَنْ تَبْلُغَ قَرَارَهُ .

وَكَانَتْ شُعُوبُ الْمَاءِ تَعِيشُ فِى أَعْمَاقِ هٰذَا الْبَحْرِ بَيْنَ غَرِيبِ النَّبَاتِ وَجَمَاعَاتِ السَّمَكِ .

وَكَانَ فِي أَعْمَقِ مَكَانٍ مِنَ الْبَحْرِ ، قَصْرٌ لِلْمَلِكِ بُنِيَتْ حِيطَانُهُ مِنَ الْمَرْجَانِ ، وَصُنِعَتْ نَوَافِذُهُ مِنَ الْعَنْبَرِ الْأَصْفَرِ ، وَشُيِّدَتْ سُقُوفُهُ مِنَ الصَّدَفِ ، وَفِي جَوْفِ كُلِّ صَدَفَةٍ مِنْهُ لُؤْلُؤَةٌ جَمِيلَةٌ .

وَكَانَ مَلِكُ الْبَحْرِ قَدْ فَقَدَ زَوْجَتَهُ مُنْذُ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ ، فَنَهَضَتْ أُمُّهُ بِتَدْبِيرِ شُؤُونِ الْقَصْرِ وَالْعِنَايَةِ بِبَنَاتِهِ وَعَدَدُهُنَّ سِتُّ أَمِيرَاتٍ ، كُلُّ وَاحِدَةٍ أَجْمَلُ مِنَ الْأُخْرَى ، عَلَى أَنَّ أَصْغَرَهُنَّ كَانَتْ تَفُوقُهُنَّ جَمِيعًا بِالْحُسْنِ وَالْبَهَاءِ وَالْجَمَالِ الْخَلَّابِ ، فَمِنْ بَشَرَةٍ نَاعِمَةٍ رَقِيقَةٍ شَفَّافَةٍ كَأَوْرَاقِ الْوَرْدِ ، إِلَى عَيْنَيْنِ زَرْقَاوَيْنِ بِلَوْنِ الْفَيْرُوزِ ، إِلَى شَعْرٍ أَشْقَرَ ذَهَبِيٍّ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَا لِأَخَوَاتِهَا قَدَمَانِ مِثْلُ جَمِيعِ الْبَشَرِ ، وَإِنَّمَا كَانَ جِسْمُهُنَّ يَنْتَهِي بِذَيْلِ سَمَكَةٍ .

وَكَانَتْ هٰذِهِ الْأَمِيرَةُ عَجِيبَةَ الْأَطْوَارِ كَثِيرَةَ التَّفْكِيرِ ،



تُؤْثِرُ الصَّمْتَ الْعَمِيقَ عَلَى الْكَلَامِ وَالثَّرْثَرَةِ ، وَكَانَتْ مُتْعَتُهَا الْكُبْرَى ، أَنْ تُرْهِفَ السَّمْعَ إِلَى الْأَحَادِيثِ وَالْقِصَصِ الَّتِي تَروِى لَهَا أَخْبَارَ النَّاسِ الَّذِينَ يَعِيشُونَ فِى عَالَمِ الْبَشَرِ ، وَلَطَالَمَا طَلَبَتْ إِلَى جَدَّتِهَا أَنْ تُحَدِّثَهَا عَنِ السُّفُنِ وَالْمُدُنِ ، وَأَنْ تَقُصَّ عَلَيْهَا سِيَرَ النَّاسِ وَالْحَيَوَانِ .

وَكَانَ مِمَّا يُثِيرُ دَهْشَتَهَا ، أَنَّ الْغَابَاتِ خُضْرٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَأَنَّ الْأَزْهَارَ فِيهَا يَتَضَوَّعُ مِنْهَا عِطْرٌ لَا تَبُثُّهُ تَحْتَ الْمَاءِ .

وَمَا كَانَتْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَصَوَّرَ أَنَّ السَّمَكَ يُغَنِّى وَيُغَرِّدُ وَيَتَنَقَّلُ فَوْقَ الْأَغْصَانِ ، وَكَانَتْ جَدَّتُهَا هِىَ الَّتِى أَطْلَقَتْ اسْمَ السَّمَكِ عَلَى الْعَصَافِيرِ ، حَتَّى تُقَرِّبَهَا مِنْ فَهْمِ الْأَمِيرَةِ فَكَانَتْ تَقُولُ لَهَا :

– « عِنْدَمَا تَبْلُغِينَ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِكِ ، فَسَوْفَ

أَسْمَحُ لَكِ أَنْ تَصْعَدِى إِلَى سَطْحِ الْمَاءِ ، وَأَنْ تَجْلِسِى فَوْقَ الصُّخُورِ فِى ضَوْءِ الْقَمَرِ لِتُشَاهِدِى السُّفُنَ الْكَبِيرَةَ وَهِىَ تَمْخُرُ عُبَابَ الْمَاءِ ، وَلِكَىْ تَرَىْ بِعَيْنَيْكِ الْمُدُنَ وَالْغَابَاتِ وَتَعْرِفِيهَا عَنْ كَثَبٍ ، فَانْتَظِرِى نَوْبَتَكِ بَعْدَ أَخَوَاتِكِ » .

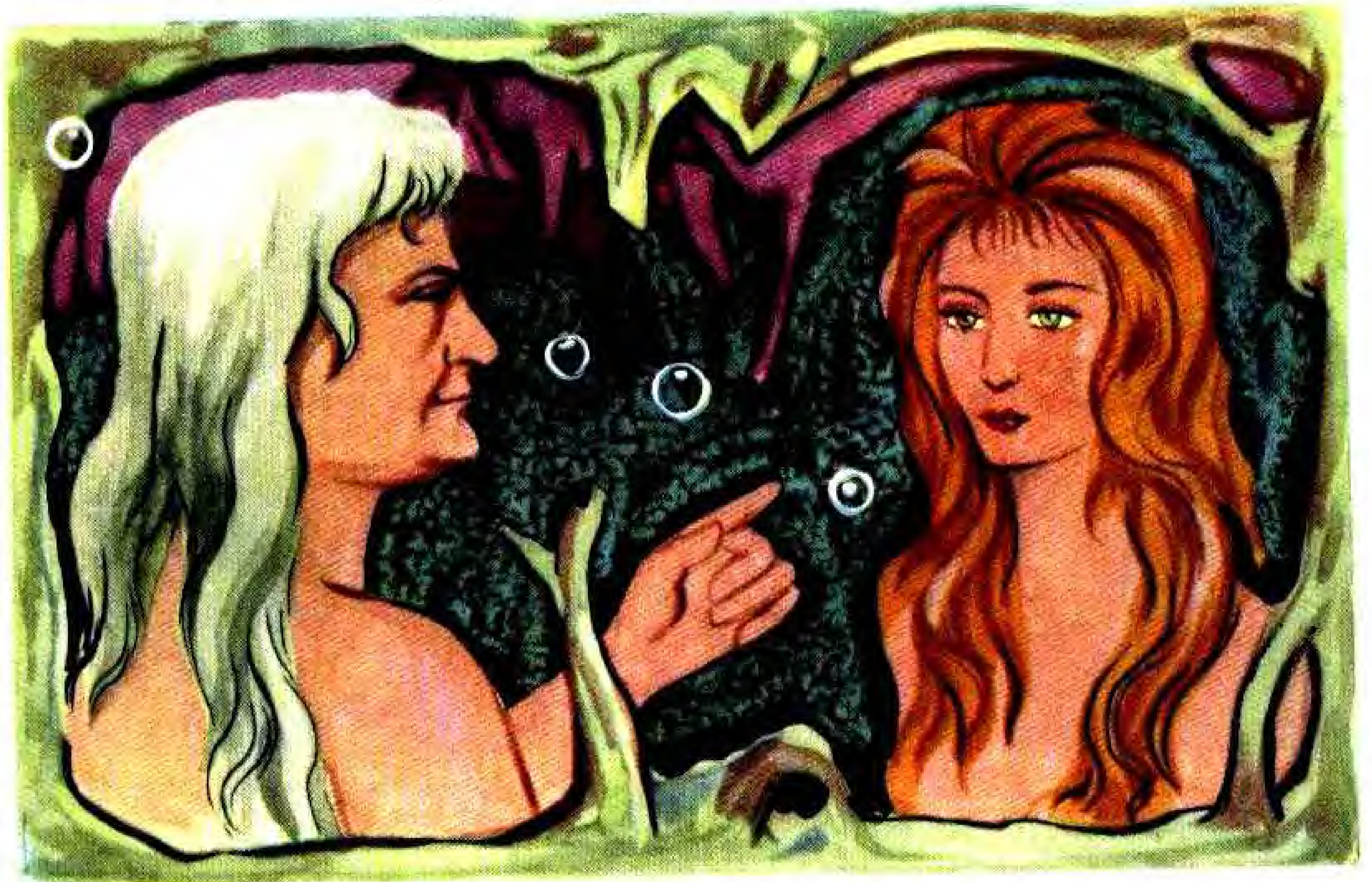
وَكَانَتْ أَكْبَرُ الْأَمِيرَاتِ سَتَبْلُغُ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهَا بَعْدَ عَامٍ ، وَلَمَّا كَانَ فَرْقُ السِّنِّ بَيْنَ كُلِّ أَمِيرَةٍ وَأُخْتِهَا سَنَةً وَاحِدَةً ؛ فَكَانَ لَابُدَّ لِأَصْغَرِ الْأَمِيرَاتِ مِنْ أَنْ تَنْتَظِرَ خَمْسَ سَنَوَاتٍ أُخْرَى لِتَبْلُغَ ذَلِكَ الْعُمْرَ وَتَقُومَ بِمِثْلِ تِلْكَ الرِّحْلَةِ .

وَتَوَاعَدَتِ الْأَمِيرَاتُ السِّتُّ أَنْ تَحْكِىَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ لِأَخَوَاتِهَا عِنْدَ عَوْدَتِهَا ، أَخْبَارَ رِحْلَتِهَا ، وَتَصِفَ لَهُنَّ مَا تَكُونُ قَدْ رَأَتْهُ مِنْ عَجَائِبَ ، فَكُلُّهُنَّ كُنَّ يَتَحَرَّقْنَ شَوْقًا إِلَى الْعِلْمِ



وَالْمَعْرِفَةِ ، وَلاسِيَّمَا أُخْتُهُنَّ الصُّغْرَى ، فَقَدْ كَانَ يَدْفَعُهَا الْفُضُولُ وَالرَّغْبَةُ فِى الْمَعَارِفِ ، إِلَى أَنْ تَجْلِسَ فِى أَكْثَرِ اللَّيَالِى قُرْبَ نَافِذَةٍ مَفْتُوحَةٍ فِى غُرْفَتِهَا ، وَتُحَاوِلُ أَنْ تَسْتَشِفَّ مَا وَرَاءَ ذٰلِكَ الْمَاءِ الْأَزْرَقِ الَّذِى تَضْطَرِبُ فِيهِ الْأَسْمَاكُ . فَكَثِيرًا مَا وَقَعَ نَظَرُهَا عَلَى الْقَمَرِ وَالنُّجُومِ ، وَلَكِنْ فِى شَكْلٍ مُشَوَّهٍ بِسَبَبِ طَبَقَاتِ الْمَاءِ الَّتِى كَانَتْ تَحْجُبُ الْقَمَرَ وَالْكَوَاكِبَ عَنْ أَنْ تَبْدُوَ لِلْأَمِيرَةِ الصَّغِيرَةِ فِى صَحِيحِ شَكْلِهَا وَبَاهِرِ لَأْلَائِهَا .

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ وَبَلَغَتِ الْعَرُوسُ الْكَبِيرَةُ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ ،





فَهَبَّتْ تَقُومُ بِرِحْلَتِهَا إِلَى سَطْحِ الْبَحْرِ ، وَلَمَّا رَجَعَتْ كَانَتْ جُعْبَتُهَا مَمْلُوءَةً بِالْحَوَادِثِ وَالْأَخْبَارِ ، سَرَدَتْهَا عَلَى أَسْمَاعِ شَقِيقَاتِهَا وَهُنَّ يَسْتَمِعْنَ لَهَا فِي صَمْتٍ وَسُكُونٍ وَاسْتِغْرَابٍ ، فَقَالَتْ لَهُنَّ فِيمَا قَالَتْ :

— « مَا أَجْمَلَ الشَّوَاطِئَ مَفْرُوشَةً بِالرِّمَالِ تَتَكَسَّرُ عِنْدَهَا أَمْوَاجُ الْبَحْرِ ! وَمَا أَرْوَعَ الْمَدِينَةَ الَّتِي تَقُومُ وَرَاءَهَا حِينَ يَغْمُرُهَا الْقَمَرُ بِضِيَائِهِ ، وَيَكْسُوهَا بِوِشَاحٍ أَبْيَضَ ! بَلْ مَا أَبْهَى الْأَنْوَارَ تَسْطَعُ مِنَ الْمَنَازِلِ ، حَتَّى لَيَحْسَبُهَا الرَّائِي كَوَاكِبَ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى » .

وَفِي الْعَامِ التَّالِي سَمَحَتْ الْجَدَّةُ لِلْأَمِيرَةِ الثَّانِيَةِ بِأَنْ تَصْعَدَ إِلَى سَطْحِ الْبَحْرِ ، فَاتَّفَقَ أَنْ أَخْرَجَتْ رَأْسَهَا مِنَ الْمَاءِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَتِ الشَّمْسُ فِيهِ تَغِيبُ وَرَاءَ الْأُفُقِ ، فَخَلَبَ هٰذَا الْمَشْهَدُ السَّاحِرُ لُبَّهَا ، وَوَصَفَتْهُ لِشَقِيقَاتِهَا بَعْدَ رُجُوعِهَا

وَهِيَ تَقُولُ :

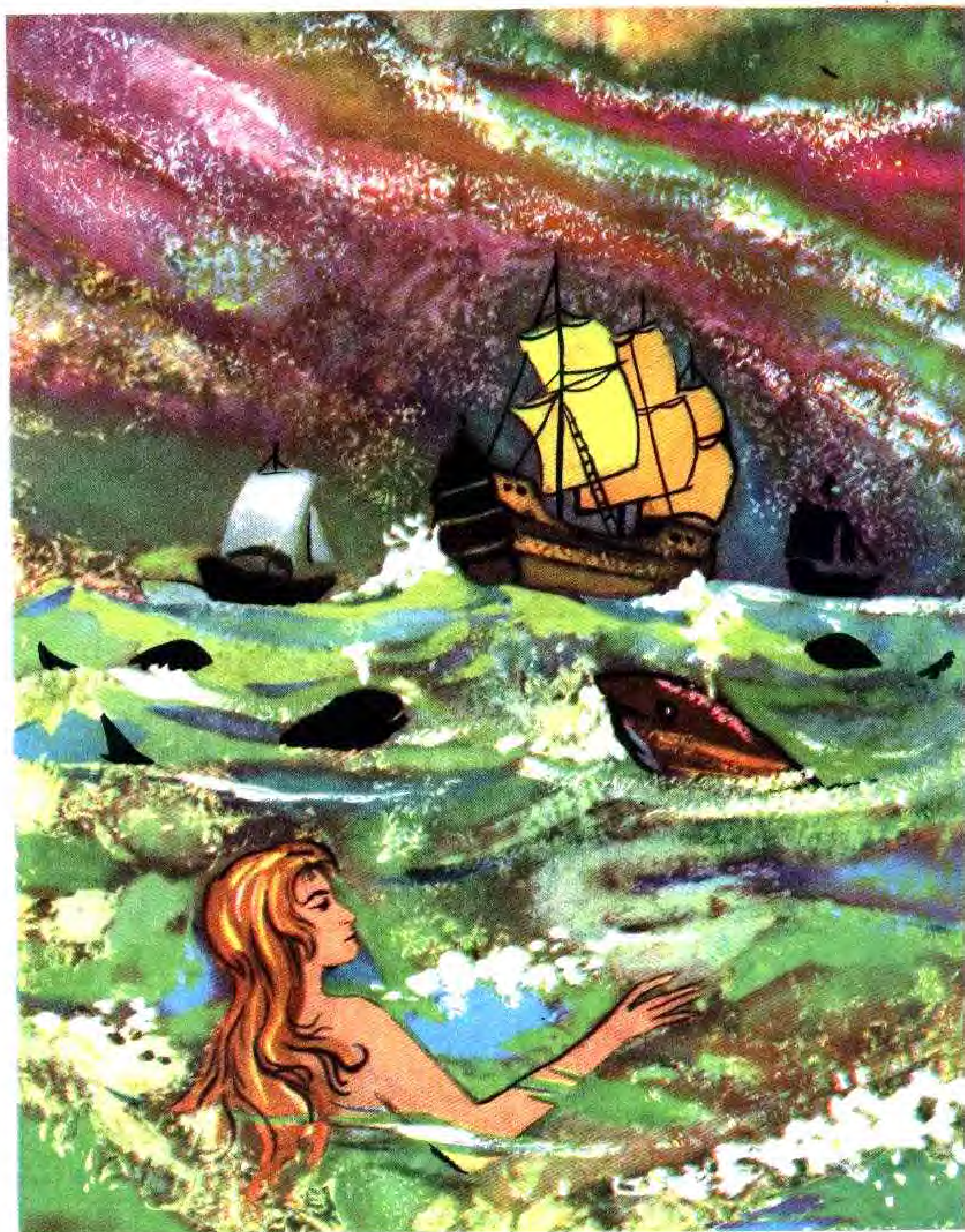
— « كَانَتِ السَّمَاءُ تُشْبِهُ سَبِيكَةً مِنَ الذَّهَبِ وَكَانَتِ السُّحُبُ الْمُتَنَاثِرَةُ فِيهَا مَصْبُوغَةً بِمُخْتَلِفِ الْأَلْوَانِ مَا بَيْنَ أَحْمَرَ وَأَصْفَرَ وَبَنَفْسَجِيّ ، وَكَانَ سِحْرُ ذٰلِكَ الْجَمَالِ فَوْقَ مَا يَتَوَهَّمُهُ الْخَيَالُ ، وَكُنْتُ أَرَى فِي وَسَطِ تِلْكَ السُّحُبِ جَمَاعَةً مِنَ الطُّيُورِ الْبِيضِ مُتَّجِهَةً إِلَى الشَّمْسِ كَأَنَّهَا شِرَاعٌ أَبْيَضُ يَتَحَرَّكُ . وَلَقَدْ أَرَدْتُ أَنَا أَيضاً أَنْ أَسْبَحَ إِلَى ذٰلِكَ الْكَوْكَبِ الْأَحْمَرِ ، وَلٰكِنَّهُ سُرْعَانَ مَا غَابَ وَغَابَتْ مَعَهُ السُّحُبُ ، وَاخْتَفَتْ بَعْدَهَا الْأَشِعَّةُ الْوَرْدِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ تَصْبِغُ وَجْهَ الْبَحْرِ . . . » .

وَجَاءَتْ نَوْبَةُ الْعَرُوسِ الثَّالِثَةِ ، وَكَانَتْ أَشْجَعَ أَخَوَاتِهَا وَأَجْرَأَهُنَّ ، فَاجْتَازَتْ مَصَبَّ أَحَدِ الْأَنْهَارِ الْكَبِيرَةِ ، وَسَبَحَتْ فِيهِ مَسَافَةً طَوِيلَةً تُمَتِّعُ نَظَرَهَا التِّلَالُ الْخُضْرُ وَكُرُومُ الْعِنَبِ ، وَتُثِيرُ إِعْجَابَهَا الْمَزَارِعُ وَالْغَابَاتُ وَمَا شُيِّدَ فِيهَا مِنْ دُورٍ

وَقُصُورٍ عَلَى جَانِبٍ عَظِيمٍ مِنْ رَوْعَةِ الزُّخْرُفِ وَجَمَالِ الْبِنَاءِ ، وَيُشَنِّفُ أُذُنَيْهَا تَغْرِيدُ الْبَلَابِلِ بِأَلْحَانِهَا الْعَذْبَةِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي تَسْحَرُ الْفُؤَادَ ، وَكَانَتْ عِنْدَمَا تَلْفَحُ وَجْهَهَا حَرَارَةُ الشَّمْسِ ، تَغْطِسُ فِي الْمَاءِ قَلِيلًا لِتُبَلِّلَهُ وَتُرَطِّبَهُ ثُمَّ تَظْهَرُ ثَانِيَةً عَلَى صَفْحَةِ الْمَاءِ مُنْتَعِشَةً مُغْتَبِطَةً ... »

وَلَمْ تَكُنِ الْأُخْتُ الرَّابِعَةُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الشَّجَاعَةِ ، فَآثَرَتْ أَنْ تَبْقَى فِي وَسَطِ الْبَحْرِ ، حَيْثُ يَمْتَدُّ الْمَاءُ إِلَى مَرْمَى الْبَصَرِ ، وَتَسْتَدِيرُ السَّمَاءُ فَوْقَهُ كَأَنَّهَا قُبَّةٌ مِنْ زُجَاجٍ ، فَلَمَحَتْ فِي الْأُفُقِ الْبَعِيدِ مَجْمُوعَةً مِنَ السُّفُنِ ، جَعَلَهَا الْبُعْدُ لَا تَزِيدُ عَنْ حَجْمِ الطَّيْرِ ، وَقَدْ تَجَمَّعَتْ حَوْلَهَا الْحِيتَانُ وَهِيَ تَقْذِفُ أَعْمِدَةَ الْمَاءِ مِنْ مَنَاخِرِهَا .

وَوَقَعَتْ رِحْلَةُ الْعَرُوسِ الْخَامِسَةِ فِي قَلْبِ الشِّتَاءِ ، فَرَأَتْ مَا لَمْ تَرَهُ شَقِيقَاتُهَا : رَأَتِ الْبَحْرَ أَخْضَرَ اللَّوْنِ ، تَعُومُ فِيهِ



جِبَالٌ مِنَ الْجَلِيدِ ، غَرِيبَةُ الشَّكْلِ بَرَّاقَةٌ لَمَّاعَةٌ لَمَعَانَ الْأَلْمَاسِ.

وَيَوْمَ بَلَغَتْ أَصْغَرُ الْعَرَائِسِ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ أَقْبَلَتْ عَلَيْهَا جَدَّتُهَا تُمَشِّطُهَا وَتُزَيِّنُهَا ، وَتَجْلُوهَا أَحْسَنَ جَلْوَةٍ ، عَلَى غِرَارِ مَا فَعَلَتْهُ مَعَ أَخَوَاتِهَا السَّابِقَاتِ ، وَلَمْ تَكَدِ الْجَدَّةُ تَفْرَغُ مِنْ عَمَلِهَا حَتَّى قَالَتْ لَهَا الْعَرُوسُ الصَّغِيرَةُ :

— « وَدَاعًا يَا جَدَّتِي الْعَزِيزَةَ ... »

وَانْفَلَتَتْ مِنْهَا صَاعِدَةً إِلَى سَطْحِ الْبَحْرِ خَفِيفَةً رَشِيقَةً .

وَعِنْدَمَا أَخْرَجَتْ رَأْسَهَا مِنَ الْمَاءِ ، كَانَتِ الشَّمْسُ قَدْ غَابَتْ مُنْذُ لَحَظَاتٍ ، وَالسُّحُبُ لَا تَزَالُ مُلَوَّنَةً بِلَوْنِ الْوَرْدِ وَالذَّهَبِ ، وَكَانَ كَوْكَبُ الْمَسَاءِ يَلْمَعُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ ، فِي حِينَ كَانَ الْبَحْرُ سَاكِنًا ، وَالْهَوَاءُ نَدِيًّا عَلِيلًا .

وَصَادَفَ أَنْ بَرَزَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ مِنَ الْمَاءِ ، عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ سَفِينَةٍ لَمْ يَكُنْ مَنْشُورًا مِنْهَا غَيْرُ شِرَاعٍ وَاحِدٍ بِسَبَبِ



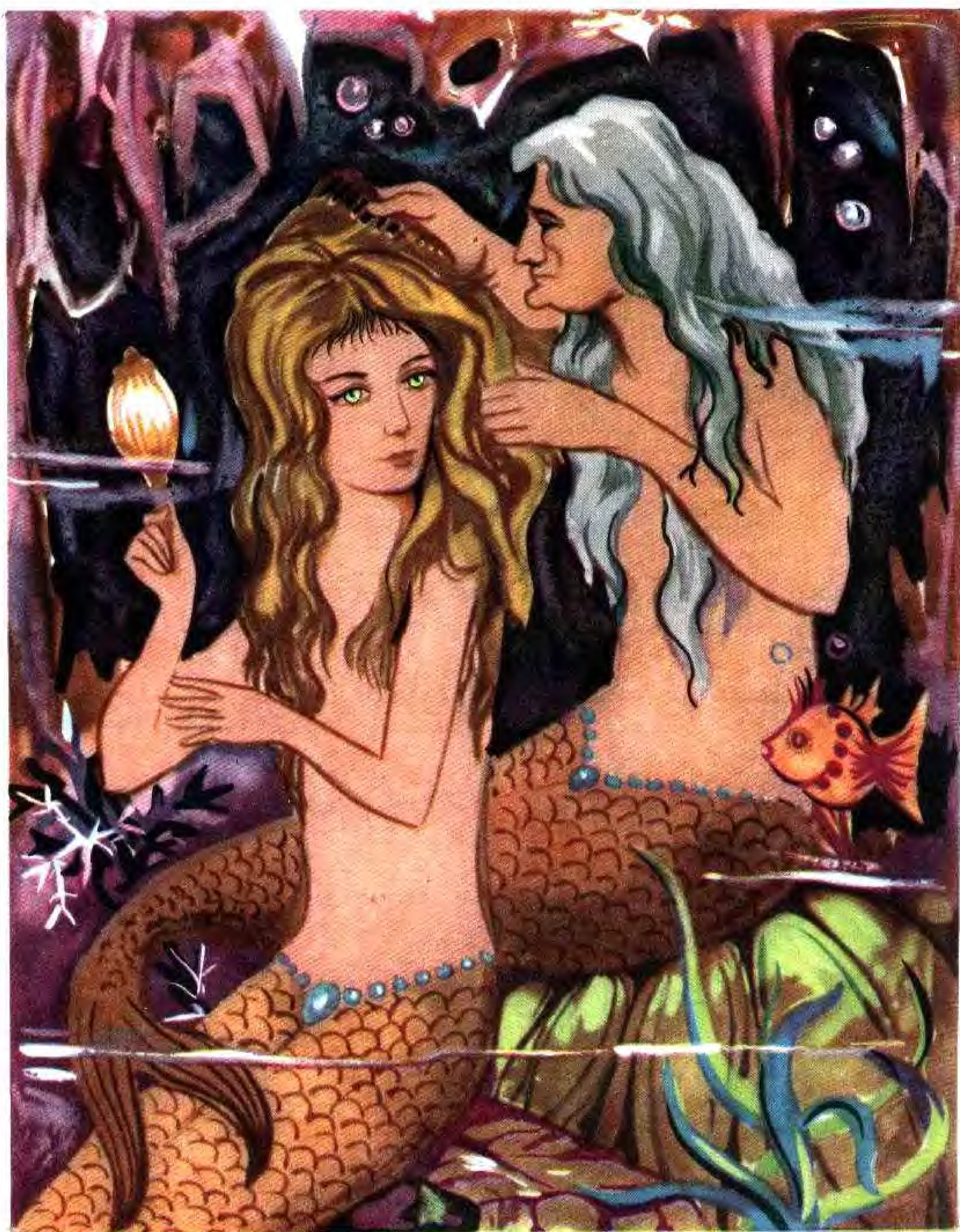
هُدُوءِ الْبَحْرِ ، فَحدَّقَتْ فِيهَا فرَأَتْ نَفَرًا مِنَ الْمَلَّاحِينَ جالِسِينَ فَوْقَ الْحِبَالِ الْمَلْفُوفَةِ فِي أَرْضِهَا ، يُغَنُّونَ وَيَعْزِفُونَ عَلَى آلاتِ الطَّرَبِ ، وَحِينَمَا هَبَطَ الْمَسَاءُ ، أُوقِدَتْ مِئَاتٌ مِنَ الْمَصَابِيحِ الْمُلَوَّنَةِ كَانَتْ مُعَلَّقَةً عَلَى أَسَاطِينِ السَّفِينَةِ .

فَسَبَحَتِ الْعَرُوسُ الصَّغِيرَةُ إِلَى نَافِذَةٍ مِنَ نَوَافِذِ السَّفِينَةِ ، وَكَانَتْ كُلَّمَا عَلَا بِهَا الْمَوْجُ ، رَأَتْ مِنْ وَرَاءِ زُجَاجِ النَّافِذَةِ الشَّفَّافِ ، غُرْفَةً فَسِيحَةً اجْتَمَعَ فِيهَا عَدَدٌ مِنَ الرِّجَالِ يَرْتَدُونَ

الْـمَلَابِسَ الْـمُزَرْكَشَةَ .

وَكَانَ أَجْمَلَهُمْ وَأَحْسَنَهُمْ بِزَّةً أَمِيرًا شَابًّا أَسْوَدَ الْـعَيْنَيْنِ ، مُسْتَرْسِلَ الشَّعْرِ .

وَبَيْنَمَا كَانَ الْـمَلَّاحُونَ يَرْقُصُونَ عَلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ ، صَعِدَ الْأَمِيرُ الشَّابُّ إِلَيْهِمْ ، فَتَوَقَّفُوا عَنِ الرَّقْصِ ، وَأَطْلَقُوا مِئَاتٍ مِنَ السِّهَامِ النَّارِيَّـةِ أَنَارَتِ الفَضَاءَ ، فَتَمَلَّكَ الرُّعْبُ عَرُوسَ الْـبَحْرِ ، وَغَاصَتْ فِي الْـمَاءِ ، غَيْرَ أَنَّ الفُضُولَ دَفَعَهَا ثَانِيَةً إِلَى وَجْهِ الْبَحْرِ ، فَرَأَتِ النُّجُومَ تَتَسَاقَطُ عَلَيْهِ مُنْهَمِرَةً انهِمَارَ الْمَطَرِ ، فَسُرَّتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَنْظَرِ الرَّائِعِ ، وَعَلِمَتْ أَنْ لَا مَجَالَ لِلْخَوْفِ ، وَأَنَّ الْقَوْمَ يَحْتَفِلُونَ بِعِيدِ الْأَمِيرِ ، غَيْرَ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ شَهِدَتْ قَطُّ مِثْلَ ذَلِكَ الاِحْتِفَالِ ، فَقَدْ تَبِعَ تَسَاقُطَ النُّجُومِ شُمُوسٌ تَدُورُ ، وَمَنَاطِيدُ مُنِيرَةٌ تَتَصَاعَدُ فِي الْهَوَاءِ ، مِمَّا جَعَلَ تِلْكَ الْقِطْعَةَ مِنَ الْبَحْرِ الْهَادِئِ شُعْلَةً تَضْطَرِمُ .



N.

ثُمَّ شَهِدَتِ الْأَمِيرَ الْجَمِيلَ يُصَافِحُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَيَتَحَدَّثُ مَعَهُمْ وَيَبْتَسِمُ لَهُمْ.

وَبَدَأَ الْبَحْرُ بَعْدَ ذٰلِكَ يَهِيجُ وَيَثُورُ، وَأَخَذَتِ الْأَمْوَاجُ تَتَجَمَّعُ مُرْغِيَةً مُزْبِدَةً، وَطَفِقَتِ السُّحُبُ السُّودُ تُغَطِّي وَجْهَ السَّمَاءِ، وَمَا عَتَّمَ الْبَرْقُ أَنْ لَمَعَ فِي الْأُفُقِ، وَأَعْقَبَهُ دَوِيُّ الرَّعْدِ، وَهُبُوبُ عَاصِفَةٍ هَوْجَاءَ.

فَأَخَذَتِ السَّفِينَةُ تَتَرَنَّحُ عَلَى جَانِبَيْهَا تَارَةً، وَتَلْطِمُهَا جِبَالُ الْأَمْوَاجِ مَرَّةً أُخْرَى، فَتَعْلُو إِلَى قِمَمِهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ فِي أَحْضَانِهَا.

وَفَرِحَتِ الْعَرُوسُ الصَّغِيرَةُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ لِهٰذِهِ الرِّحْلَةِ الْمُضْطَرِبَةِ، غَيْرَ أَنَّهَا لَمَّا سَمِعَتْ طَقْطَقَةَ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ، وَرَأَتِ السَّارِيَةَ قَدْ تَقَصَّفَتْ وَهَوَتْ مُتَحَطِّمَةً، وَشَاهَدَتِ السَّفِينَةَ قَدْ مَالَ جَانِبُهَا وَتَدَفَّقَتِ الْمِيَاهُ إِلَيْهَا مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ، أَدْرَكَتْ عِنْدَئِذٍ مَعْنَى الْخَطَرِ، وَاضْطُرَّتْ أَنْ تَتَدَارَى مِنْ قِطَعِ



الْخَشَبِ الَّتِي كَانَتْ تَنْفَصِلُ عَنِ السَّفِينَةِ وَتَتَقَاذَفُهَا الْأَمْوَاجُ.

وَسَادَ الْهَرْجُ وَالْمَرْجُ فِي السَّفِينَةِ ، ثُمَّ انْشَقَّتْ وَغَاصَتْ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ بِمَنْ فِيهَا وَمَا عَلَيْهَا ، وَرَأَتِ الْعَرُوسُ الصَّغِيرَةُ الْأَمِيرَ الشَّابَّ يَنْحَدِرُ فِي طَيَّاتِ الْمَاءِ ، فَاغْتَبَطَتْ كُلَّ الِاغْتِبَاطِ ، وَظَنَّتْ أَنَّ الْأَمِيرَ سَيَنْزِلُ إِلَى الْقَصْرِ الَّذِي تَسْكُنُهُ ، وَلَكِنَّهَا تَذَكَّرَتْ أَنَّ الْبَشَرَ لَا يَعِيشُونَ فِي الْمَاءِ ، فَغَاصَتْ فِي الْبَحْرِ مَثْنَى وَثُلَاثَ حَتَّى أَدْرَكَتِ الْأَمِيرَ وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى الْمَوْتِ مِنْهُ

إِلَى الْحيَاةِ ، فَأَمسَكَتْ بهِ وَرَفَعَتْ رَأْسَهُ فَوْقَ الْمَاءِ ، وَاسْتَسْلَمَتْ لِمَشِيئَةِ الْمَوْجِ يدْفَعُهَا حَيثُ شَاءَ .

وَطَلَعَ الصُّبْحُ فِي الْيَومِ التَّالِي عَنْ نَهَارٍ جَمِيلٍ ، أَشْرَقَتْ فِيهِ الشَّمْسُ ، وَدَاعَبَتْ أَشِعَّتُهَا وَجْهَ الْأَمِيرِ الشَّابِّ ، فَعَادَ قَلْبُهُ يَنْبِضُ بِالْحَيَاةِ ، وَكَانَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنَ الْبَرِّ ، فَسَارَت بهِ إِلَى الشَّاطِئِ ، وَمَدَّدَتْهُ فَوْقَ صَخْرَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ صُخُورِهِ .

وَلَمحَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ عِنْدَئِذٍ ، سِرْبًا مِنَ الْفَتَيَات يَتمَشَّيْنَ غَيْرَ بَعِيدٍ ، فَرَجَعَتْ تَسْبَحُ فِي الْبَحْرِ ، وَاخْتَبَأَتْ وَرَاءَ بَعْضِ الصُّخُورِ لِتَرَى مَاذَا يَحْدُثُ لِلْأَمِيرِ الْمِسْكِينِ .

فَمرَّتْ بِهِ فَتَاةٌ مِنْهُنَّ بَعْدَ قَلِيلٍ ، وَلَمْ تَكَدْ تَرَاهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، حَتَّى جَرَتْ مُسْرِعَةً وَعَادَتْ يَصْحَبُهَا نَفَرٌ مِنَ النَّاسِ ، أَخَذُوا يُسْعِفُونَ الْأَمِيرَ بِمُخْتَلِفِ أَنْوَاعِ الْإِسْعَافِ ،





ثُمَّ رَأَتْهُ عَرُوسُ الْبَحْرِ قَدِ اسْتَعَادَ حَوَاسَّهُ ، وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ ، وَابْتَسَمَ لِمَنْ كَانُوا يُحِيطُونَ بِهِ .

وَنَهَضَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَاتَّجَهَ إِلَى قَصْرِهِ ، فَعَادَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ حَزِينَةً كَئِيبَةً إِلَى قَصْرِ وَالِدِهَا .

وَكَانَتْ عَرُوسُنَا الصُّغْرَى يَغْلِبُ عَلَى طَبْعِهَا السُّكُوتُ وَالتَّفْكِيرُ ، فَازْدَادَتِ اعْتِصَامًا بِهِمَا بَعْدَ رُجُوعِهَا مِنْ رِحْلَتِهَا ، وَعَبَثًا حَاوَلَتْ شَقِيقَاتُهَا أَنْ يَعْرِفْنَ مِنْهَا مَا وَقَعَ عَلَيْهِ نَظَرُهَا

فِى عَالَمِ الْبَشَرِ ، وَلٰكِنَّهَا الْتَزَمَتِ الصَّمْتَ ، وَلَمْ تَنْبِسْ بِبِنْتِ شَفَةٍ .

وَكَثِيرًا مَا ذَهَبَتْ صَبَاحَ مَسَاءَ إِلَى حَيْثُ تَرَكَتِ الْأَمِيرَ ، لَعَلَّهَا تَرَاهُ ، وَلٰكِنْ خَابَ فَأْلُهَا فَكَانَتْ تَعُودُ إِلَى أَعْمَاقِ الْبَحْرِ ، وَنَفْسُهَا أَعْظَمُ حُزْنًا وَأَشَدُّ لَوْعَةً .

وَضَاقَ صَدْرُ الْعَرُوسِ الصُّغْرَى بِسِرِّهَا الْمَكْتُومِ ، وَثَقُلَتْ عَلَيْهَا وَطْأَةُ الْحَيَاةِ ، فَأَفْضَتْ بِحَالِهَا إِلَى إِحْدَى شَقِيقَاتِهَا ، وَنَقَلَتْهُ هٰذِهِ إِلَى الشَّقِيقَاتِ الْأُخْرَيَاتِ ، حَتَّى ذَاعَ بَيْنَهُنَّ جَمِيعًا .

وَمُنْذُ ذٰلِكَ الْحِينِ أَصْبَحَتِ الْعَرُوسُ الصُّغْرَى تُكْثِرُ مِنَ التَّرَدُّدِ عَلَى قَصْرِ الْأَمِيرِ صَبَاحًا وَمَسَاءً ، وَتَقْتَرِبُ مِنَ الشَّاطِئِ ، وَمَضَتْ بِهَا الْجُرْأَةُ إِلَى الْجُلُوسِ أَحْيَانًا تَحْتَ شُرْفَةِ الْقَصْرِ الْمُنْعَكِسِ ظِلُّهَا عَلَى صَفَحَاتِ الْمَاءِ .

وَكَانَتْ مِنْ مَوْقِعِهَا ذَاكَ ، وَالْقَمَرُ نَاشِرٌ ضِيَاءَهُ ، تَرَى



الْأَمِيرَ فِى قَصْرِهِ ، جَالِسًا فِى غُرْفَتِهِ حِينًا ، وَمُحَاطًا بِالصِّحَابِ حِينًا آخَرَ .

وَلَطَالَمَا رَأَتْهُ قَدْ رَكِبَ وَهٰؤُلَاءِ الصِّحَابَ ، سَفِينَةً فَاخِرَةً مُزَيَّنَةً بِالْأَعْلَامِ ، وَمَرُّوا بِالْقُرْبِ مِنْهَا مُتَمَتِّعِينَ بِنُزْهَةٍ بَحْرِيَّةٍ فِى ضَوْءِ الْقَمَرِ ، وَكَانُوا إِذَا لَمَحُوا غِطَاءَهَا الْأَبْيَضَ يَخْفِقُ بَيْنَ الْقَصَبِ الْأَخْضَرِ، حَسِبُوهَا بَجَعَةً بَيْضَاءَ قَدْ بَسَطَتْ جَنَاحَيْهَا .

وَازْدَادَتِ الْعَرُوسُ الصُّغْرَى يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ مَحَبَّةً لِلْبَشَرِ ، وَرَغْبَةً فِى الِارْتِفَاعِ إِلَيْهِمْ ، وَمُشَاهَدَتِهِمْ ، وَمَعْرِفَةِ



مُخْتَلِفِ شُؤُونِهِمْ ، وَلَمَّا عَجزَتْ شَقِيقَاتُهَا عَنْ إِشْبَاعِ فُضُولِهَا وَالْإِجَابَةِ عَنْ آلَافِ الْأَسْئِلَةِ الَّتِى كَانَتْ تَطْرَحُهَا عَلَيْهِنَّ ، انْقَلَبَتْ إِلَى جَدَّتِهَا تَلْتَمِسُ عِنْدَهَا الْخَبَرَ الْيَقِينَ .

فَسَأَلَتْهَا ذَاتَ يَوْمٍ قَائِلَةً :

– « إِذَا لَمْ يُصَبْ بَنُو الْبَشَرِ بِالْغَرَقِ ، فَهَلْ يَعِيشُونَ أَبَدًا ؟ أَفَلَا يَمُوتُونَ كَمَا نَمُوتُ نَحْنُ ؟ ».

فَقَالَتْ لَهَا جَدَّتُهَا الْعَجُوزُ :

– « إِنَّهُمْ وَلَا شَكَّ يَمُوتُونَ ، وَإِنَّ حَيَاتَهُمْ لَأَقْصَرُ مِنْ حَيَاتِنَا ، فَنَحْنُ قَدْ نَعِيشُ أَحْيَانًا ثَلَاثَ مِئَةِ عَامٍ ، وَنَتَحَوَّلُ بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَى زَبَدٍ ، فَرُوحُنَا غَيْرُ خَالِدَةٍ ، وَوُجُودُنَا يَنْتَهِي بِالْمَوْتِ ، وَنَحْنُ أَشْبَهُ بِالْقَصَبِ الْأَخْضَرِ ، فَإِذَا مَا قُطِعَ يَبِسَ وَفَقَدَ اخْضِرَارَهُ ، أَمَّا بَنُو الإِنْسَانِ فَلَهُمْ نَفْسٌ خَالِدَةٌ تَحْيَا بَعْدَ أَنْ يَحُولَ الْجَسَدُ مِنْهُمْ إِلَى تُرَابٍ ، وَهٰذِهِ النَّفْسُ تَرْقَى عَلَى أَجْنِحَةِ الْهَوَاءِ إِلَى النُّجُومِ السَّاطِعَةِ ، فَمِثْلَمَا نَرْتَفِعُ نَحْنُ مِنْ أَعْمَاقِ الْمَاءِ لِنَتَمَتَّعَ بِرُؤْيَةِ بِلَادِ الْبَشَرِ ، يَرْتَفِعُونَ هُمْ إِلَى أَمْكِنَةٍ جَمِيلَةٍ وَاسِعَةٍ لَا تَرْقَى إِلَيْهَا شُعُوبُ الْمَاءِ . »

سَمِعَتِ الْعَرُوسُ الصُّغْرَى هٰذَا الْحَدِيثَ بِشَوْقٍ وَانْتِبَاهٍ

ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ حَزِينَةٌ :

– « وَلِمَاذَا لَا نَنْعَمُ نَحْنُ بِنَفْسٍ خَالِدَةٍ ؟ أَفَلَيْسَتْ هُنَاكَ وَسِيلَةٌ أَسْتَطِيعُ بِهَا أَنْ أَكْسِبَ نَفْسًا خَالِدَةً ؟ ».

فَقَالَتْ لَهَا جَدَّتُهَا الْعَجُوزُ :

– « هُنَاكَ وَسِيلَةٌ وَاحِدَةٌ وَلَكِنَّهَا فِي حُكْمِ الْمُسْتَحِيلِ ، وَهِيَ أَنْ يُحِبَّكِ رَجُلٌ مِنَ الرِّجَالِ حُبًّا عَمِيقًا بَلِيغًا ، فَتُصْبِحِي أَعَزَّ عَلَيْهِ مِنْ أُمِّهِ وَأَبِيهِ ، فَإِذَا تَعَلَّقَ بِكِ مِنْ قَرَارَةِ نَفْسِهِ وَصَمِيمِ فُؤَادِهِ ، وَضَمَّ رَجُلُ الدِّينِ يَدَهُ الْيُمْنَى إِلَى يَدِكِ الْيُمْنَى ، وَنَذَرَ لَكِ وَفَاءً لَا يَزُولُ فَحِينَئِذٍ تَسْرِي رُوحُهُ إِلَى جَسَدِكِ ، وَتَنْتَظِمِينَ فِي سَعَادَةِ الْبَشَرِ ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ ! فَهَذَا الَّذِي نَعُدُّهُ ، نَحْنُ سُكَّانَ الْمَاءِ ، عُنْوَانَ الْجَمَالِ الْبَارِعِ ، وَهُوَ ذَيْلُ السَّمَكَةِ الَّذِي تَنْتَهِي بِهِ أَجْسَادُنَا ، يَعُدُّونَهُ فِي الْأَرْضِ أَكْرَهَ الْأَشْيَاءِ وَأَقْبَحَهَا ».

نَظَرَتِ الْعَرُوسُ الصُّغْرَى إِلَى ذَيْلِهَا ، وَتَنَهَّدَتْ تَنَهُّدَةً عَمِيقَةً أَعْرَبتْ بِهَا عَنْ مَبْلَغِ الْحُزْنِ الَّذِى يَخْتَلِجُ فِى صَدْرِهَا.

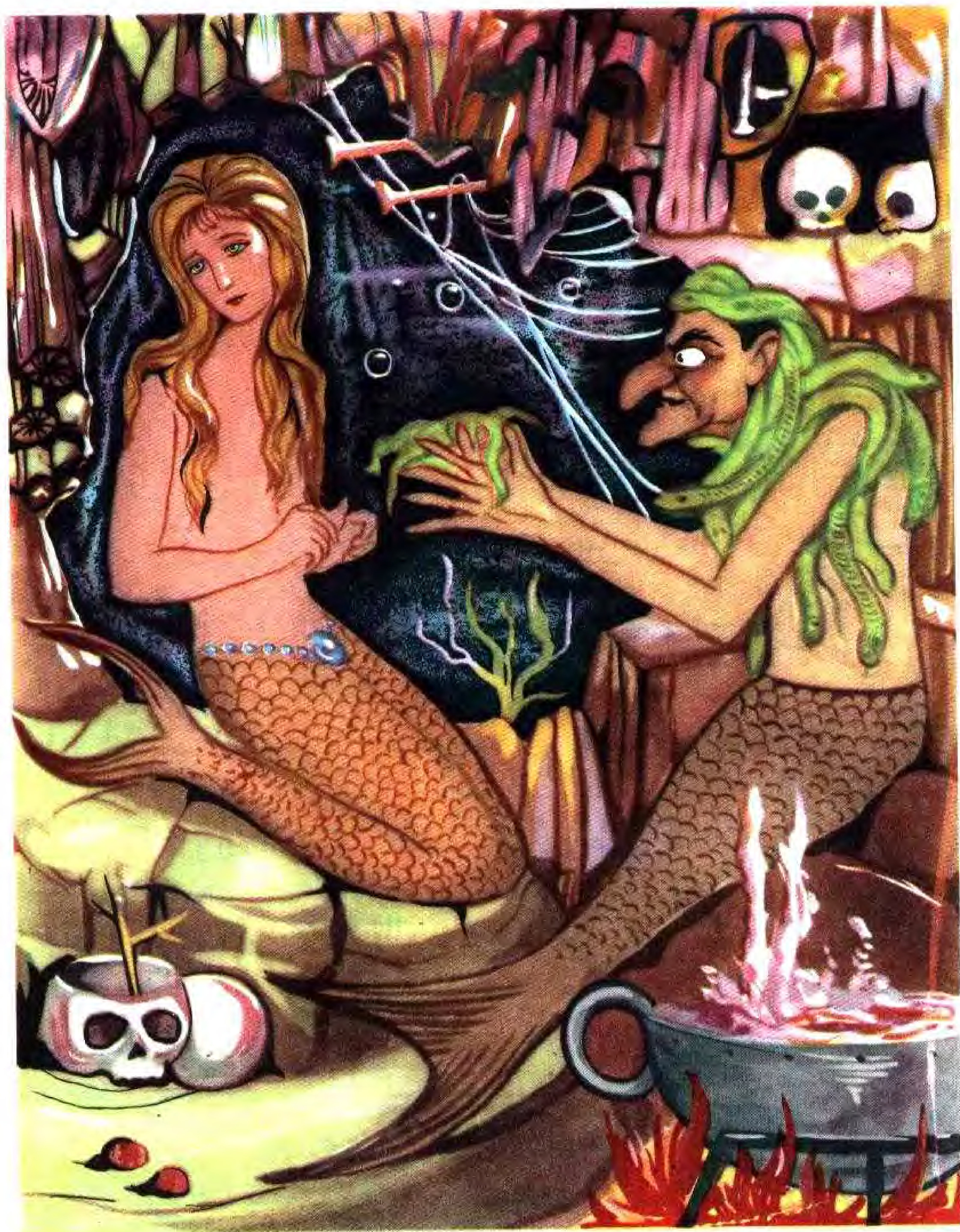
فَاسْتَأْنَفَتِ الْجَدَّةُ الْعَجُوزُ كَلَامَهَا وَقَالَتْ :

– « عَلَيْنَا أَنْ نَفْرَحَ وَنَغْتَبِطَ ، وَأَنْ نَقْفِزَ وَنَلْهُوَ ، مَا وَسِعَنَا الْقَفْزُ وَاللَّهْوُ وَالْفَرَحُ ، فِى خِلَالِ الْمِئَاتِ الثَّلَاثِ مِنْ حَيَاتِنَا ، فَهِىَ فَتْرَةٌ مِنَ الزَّمَنِ طَوِيلَةٌ جَمِيلَةٌ ، وَلْيَكُنْ بَعْدَهَا مَا يَكُونُ » .

فَتَعَزَّتِ الْعَرُوسُ الصُّغْرَى بِهٰذَا الْحَدِيثِ ، وَقَضَتْ بَعْضَ الْوَقْتِ تُغَنِّى وَتَلْهُو، حَتَّى إِذَا عَادَتْ تُفَكِّرُ فِى الْأَمِيرِ الْجَمِيلِ، وَفِى نَفْسِهِ الْخَالِدَةِ ، عَاوَدَهَا الْحُزْنُ فَانْقَطَعَتْ عَنِ الْغِنَاءِ وَالضَّحِكِ ، وَكَانَتْ لَا تُلْفَى إِلَّا مَهْمُومَةً مُفَكِّرَةً .

وَخَرَجَتْ يَوْمًا مِنَ الْقَصْرِ ، وَهِىَ تَقُولُ فِى نَفْسِهَا :

– « لِمَ لَا أَذْهَبُ إِلَى سَاحِرَةِ الْبَحْرِ ، وَإِنْ كَرِهْتُ حَتَّى



الْيَوْمِ أَعْمالَهَا ، فَلَعَلَّهَا تُعِينُنِي وَتُزَوِّدُنِي بِبَعْضِ النَّصَائِحِ » .

وَتَوَجَّهَتِ الْعَرُوسُ الصُّغْرَى إِلَى حَيْثُ تُقِيمُ السَّاحِرَةُ ، فَمَرَّتْ فِي طَرِيقِهَا بِسَاحَةٍ وَاسِعَةٍ فِي الْغَابَةِ تَتَمَرَّغُ فِيهَا حَيَّاتُ الْبَحْرِ ، وَتَتَقَلَّبُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ ، وَكَانَ مَسْكَنُ السَّاحِرَةِ فِي وَسَطِ تِلْكَ السَّاحَةِ ، وَقَدْ شُيِّدَ مِنْ عِظَامِ الْغَرْقَى ، فَوَجَدَتْهَا جَالِسَةً فَوْقَ حَجَرٍ ضَخْمٍ تُطْعِمُ سَرَطَانًا كَانَ فِي كَفِّهَا ، كَمَا يُطْعِمُ الْبَشَرُ الْبَلَابِلَ ، وَيُقَدِّمُونَ لَهَا قِطَعَ السُّكَّرِ ، وَكَانَ يَحْلُو لِهَذِهِ السَّاحِرَةِ الْعَجُوزِ أَنْ تُسَمِّيَ الثَّعَابِينَ دَجَاجَهَا الْمَحْبُوبَ ، وَأَنْ تَجْعَلَهَا تَلْتَفُّ حَوْلَ صَدْرِهَا الْمُقَفَّعِ .

فَمَا إِنْ أَبْصَرَتْ بِالْعَرُوسِ الصُّغْرَى مُقْبِلَةً إِلَيْهَا ، حَتَّى بَادَرَتْهَا قَائِلَةً :

— « أَعْرِفُ مَا تُرِيدِينَ ... إِنَّ رَغَبَاتِكِ مِنَ الْحُمْقِ بِمَكَانٍ ، غَيْرَ أَنَّنِي سَأُعِينُكِ عَلَيْهَا وَإِنْ جَلَبَتْ لَكِ الشَّقَاءَ وَالدَّمَارَ . . .

إِنَّكِ تَرْغَبِينَ فِي أَنْ تَتَخَلَّصِي مِنْ ذَيْلِكِ ، وَتَسْتَعِيضِي عَنْهُ بِالْقِطْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ يَمْشِي بِهِمَا الْبَشَرُ ، حَتَّى يُغْرَمَ بِكِ الْأَمِيرُ ، وَيَتَزَوَّجَكِ وَيَمْنَحَكِ نَفْسًا خَالِدَةً ... »

وَأَتْبَعَتْ كَلَامَهَا بِقَهْقَهَةٍ عَالِيَةٍ مُخِيفَةٍ ، أَسْقَطَتْ مِنْ كَفِّهَا وَصَدْرِهَا السَّرَطَانَ وَالْحَيَّاتِ ثُمَّ قَالَتْ :

— « سَأُعِدُّ لَكِ شَرَابًا تَحْمِلِينَهُ مَعَكِ ، وَتَشْرَبِينَهُ عِنْدَمَا تَصِلِينَ إِلَى الشَّاطِئِ ، وَتَجْلِسِينَ فَوْقَ رِمَالِهِ النَّاعِمَةِ ، وَسَوْفَ تَرَيْنَ ذَيْلَكِ قَدِ انْشَقَّ عَلَى الْفَوْرِ إِلَى مَا يُسَمِّيهِ الْبَشَرُ سَاقَيْنِ جَمِيلَتَيْنِ ، وَلَـٰكِنَّ عَذَابَكِ سَيَكُونُ أَلِيمًا .

وَلَسَوْفَ تَخْلُبِينَ أَلْبَابَ الْبَشَرِ بِجَمَالِكِ الْفَتَّانِ ، وَقَدِّكِ الْمَمْشُوقِ ، وَمِشْيَتِكِ الْخَفِيفَةِ اللَّطِيفَةِ ، وَلَسْتُ أُخْفِي عَنْكِ أَنَّ كُلَّ خُطْوَةٍ تَخْطِينَهَا سَتُسَبِّبُ لَكِ آلَامًا مُبَرِّحَةً كَمَا لَوْ كُنْتِ تَدُوسِينَ عَلَى الدَّبَابِيسِ ، فَإِنْ وَافَقْتِ عَلَى تَحَمُّلِ

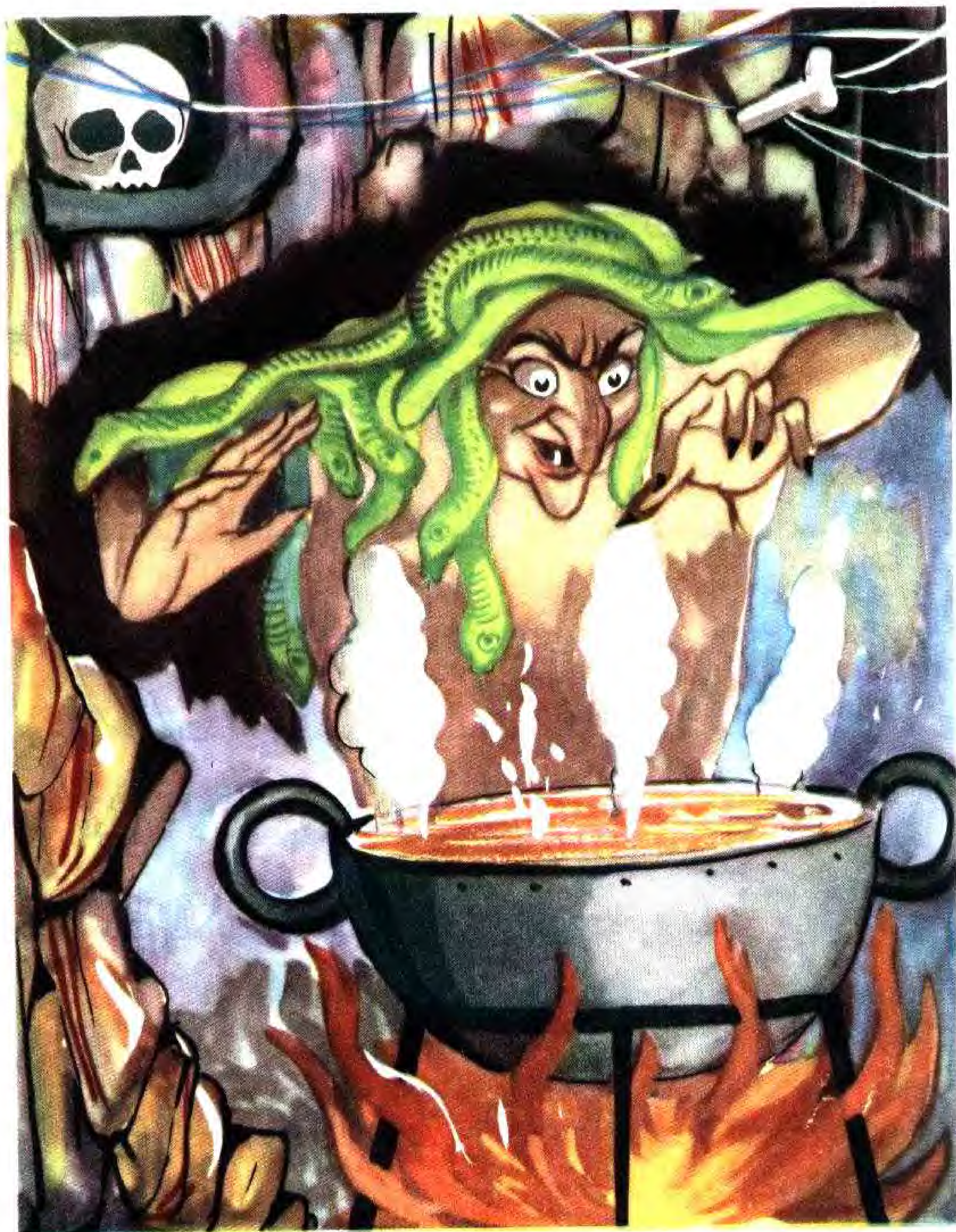
مِثْلِ هٰذَا الْعَذَابِ ، فَإِنِّى بَاذِلَةٌ لَكِ الْعَوْنَ الَّذِى تَطْمَعِينَ فِيهِ » .

فَقَالَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ بِصَوْتٍ مُرْتَجِفٍ ، وَهِىَ تُفَكِّرُ فِى الْأَمِيرِ وَفِى النَّفْسِ الْخَالِدَةِ :

— « سَوْفَ أَتَحَمَّلُ كُلَّ ذَلِكَ » .

فَقَالَتِ السَّاحِرَةُ الْعَجُوزُ :

— « وَاعْلَمِى أَنَّكِ إِذَا مَا اسْتَحَلْتِ إِلَى مَخْلُوقٍ مِنْ بَنِى الْإِنْسَانِ ، فَلَنْ تَعُودِى أَبَدًا إِلَى عَرُوسٍ مِنْ عَرَائِسِ الْبَحْرِ ، وَلَنْ تَرَىْ مَا حَيِيتِ قَصْرَ أَبِيكِ ، وَاعْلَمِى كَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يُحِبَّكِ الْأَمِيرُ مِنْ قَرَارَةِ نَفْسِهِ وَصَمِيمِ فُؤَادِهِ ، وَلَا آثَرَكِ عَلَى أَبِيهِ وَأُمِّهِ ، أَوْ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَشَأْ أَنْ يُبَارِكَ زَوَاجَكُمَا رَجُلٌ مِنْ رِجَالِ الدِّينِ ، فَلَنْ تَظْفَرِى أَبَدًا بِنَفْسٍ خَالِدَةٍ ، فَفِى الْيَوْمِ الَّذِى يَتَزَوَّجُ فِيهِ امْرَأَةً أُخْرَى ، يَتَحَطَّمُ فُؤَادُكِ ،



وَتَنْقَلِبِينَ بَعْدَ يَوْمٍ وَاحِدٍ إِلَى قِطْعَةٍ مِنَ الزَّبَدِ تَتَهَادَى فَوْقَ رُؤُوسِ الْأَمْوَاجِ » .

فَقَالَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ وَقَدْ وَشَّحَتْ وَجْهَهَا صُفْرَةٌ وَلا صُفْرَةُ الأَمْوَاتِ :

– « إِنِّى أُوَافِقُ عَلَى كُلِّ مَا تَقُولِينَ » .

فَاسْتَأْنَفَتِ السَّاحِرَةُ الْعَجُوزُ كَلامَهَا وَقَالَتْ :

– « فَعَلَيْكِ إِذَنْ أَنْ تَنْقُدِينِى أَجْرِى . . . إِنَّ صَوْتَكِ أَجْمَلُ صَوْتٍ بَيْنَ عَرَائِسِ الْمَاءِ ، وَإِنَّكِ لَتَأْمُلِينَ أَنْ تَأْسِرِى بِهِ قَلْبَ الْأَمِيرِ ، غَيْرَ أَنَّنِى أُرِيدُهُ أَجْرًا لِصَنِيعِى » .

فَقَالَتِ الْأَمِيرَةُ الصُّغْرَى مُتَحَيِّرَةً :

– « إِذَا أَنْتِ أَخَذْتِ صَوْتِى فَمَاذَا يَبْقَى لِى ؟ »

فَقَالَتِ السَّاحِرَةُ الْعَجُوزُ بِلَهْجَةِ الْوَاثِقِ :

– « يَبْقَى لَكِ جَمَالُ طَلْعَتِكِ وَلُطْفُ مِشْيَتِكِ وَسِحْرُ

عَيْنَيْكِ ، وَحَسْبُكِ كُلُّ هٰذَا فِي سَبِيلِ الظَّفَرِ بِقَلْبِ إِنْسَانٍ ... فَتَشَجَّعِي يَا ابْنَتِي ، وَمُدِّي لِسَانَكِ لِأَدْهِنَهُ بِدِهَانٍ سِحْرِيّ ، وَلَكِ مِنِّي بَعْدَ ذٰلِكَ مَا وَعَدْتُكِ بِهِ مِنْ شَرَابٍ » .

فَقَالَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ :

– « لِيَكُنْ مَا تُرِيدِينَ يَا خَالَةُ » .

وَدَهَنَتِ السَّاحِرَةُ الْعَجُوزُ لِسَانَ الْأَمِيرَةِ الصُّغْرَى ، فَانْقَلَبَتْ خَرْسَاءَ . وَتَنَاوَلَتِ السَّاحِرَةُ بَعْدَ عَمَلِهَا الْفَظِيعِ قِدْرًا وَضَعَتْهَا عَلَى النَّارِ ، لِتَغْلِيَ فِيهَا الشَّرَابَ السِّحْرِيَّ الَّذِي سَتَصْنَعُهُ .

وَحِينَمَا رَجَعَتِ الْعَرُوسُ الصُّغْرَى إِلَى قَصْرِ أَبِيهَا ، كَانَ كُلُّ مَنْ فِيهِ يَغِطُّ فِي النَّوْمِ ،فَلَمْ تَجْرُؤْ مَعَ هٰذَا عَلَى الدُّخُولِ ، فَكَيْفَ تُكَلِّمُهُمْ ، وَكَيْفَ تُوَدِّعُهُمُ الْوَدَاعَ الْأَخِيرَ ، فَشَعَرَتْ أَنَّ قَلْبَهَا يَتَفَطَّرُ حُزْنًا وَأَسًى .

وَانْدَفَعَتْ إِلَى الشَّاطِئِ وَجَلَسَتْ فَوْقَ رِمَالِهِ النَّاعِمَةِ ،

وَشَرِبَتْ الشَّرَابَ السِّحْرِيَّ ، فَأَحَسَّتْ فِى الْحَالِ بِانْشِقَاقِ ذَيْلِهَا كَأَنَّ سَيْفًا مَاضِيًا قَدْ بَتَرَهُ نِصْفَيْنِ ، فَوَقَعَتْ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا ، وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَظَتْ كَانَتِ الشَّمْسُ تَسْطَعُ أَشِعَّتُهَا فَوْقَ الْمَاءِ ، وَكَانَتْ حَرَارَتُهَا تَسْلُخُ جِلْدَ عَرُوسِ الْمَاءِ ، وَلٰكِنَّهَا تَعَزَّتْ عَنْ هٰذَا بِرُؤْيَةِ الْأَمِيرِ الشَّابِّ وَاقِفًا بِإِزَائِهَا يُحَدِّقُ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ السَّوْدَاوَيْنِ .

وَأَحْنَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ رَأْسَهَا ، فَرَأَتْ أَنَّ ذَيْلَ السَّمَكَةِ فِيهَا قَدِ اخْتَفَى ، وَحَلَّتْ مَحَلَّهُ سَاقَانِ بَيْضَاوَانِ جَمِيلَانِ .

فَسَأَلَهَا الْأَمِيرُ مَنْ تَكُونُ ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَقْبَلَتْ ؟ فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ نَظْرَةً حُلْوَةً حَزِينَةً ، دُونَ أَنْ تَسْتَطِيعَ النُّطْقَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَلَمْ يُثْقِلِ الْأَمِيرُ عَلَيْهَا بِالسُّؤَالِ ، وَأَمْسَكَ بِيَدِهَا ، وَصَحِبَهَا إِلَى قَصْرِهِ ، وَعَانَتِ الْمِسْكِينَةُ فِى كُلِّ خُطْوَةٍ خَطَتْهَا آلَامًا مُبَرِّحَةً ، وَلٰكِنَّهَا صَعِدَتْ سُلَّمَ الرُّخَامِ مُتَأَبِّطَةً

ذِرَاعَ الْأَمِيرِ بِرَشَاقَةٍ أُعْجِبَ بِهَا جَمِيعُ النَّاظِرِينَ ، إِعْجَابَهُمْ بِجَمَالِهَا السَّاحِرِ .

وَأَقْبَلَتِ الْجَوَارِى تُغَنِّى لِلْأَمِيرِ ، وَتُسْمِعُهُ رَخِيمَ النَّغَمَاتِ ، فَصَفَّقَ لَهَا طَوِيلًا وَهُوَ يَبْتَسِمُ لِعَرُوسِ الْبَحْرِ ، فَقَالَتْ فِى نَفْسِهَا :

– « آهِ لَوْ كَانَ يَدْرِى أَنِّى ضَحَّيْتُ مِنْ أَجْلِهِ بِصَوْتٍ أَجْمَلَ مِنْ هٰذِهِ الْأَصْوَاتِ ! »

وَعَمَدَتِ الْجَوَارِى بَعْدَ الْغِنَاءِ إِلَى الرَّقْصِ ، فَشَارَكَتْهَا عَرُوسُ الْبَحْرِ فِيهِ ، رَاقِصَةً عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِ قَدَمَيْهَا فِى خِفَّةٍ أَدْهَشَتِ الْحَاضِرِينَ ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَحَدٌ أَىَّ عَذَابٍ قَاسَتْهُ فِى ذٰلِكَ الرَّقْصِ .

وَفِى الْيَوْمِ التَّالِى أَلْبَسَهَا الْأَمِيرُ حُلَّةَ الْفُرْسَانِ ، فَامْتَطَى كُلٌّ مِنْهُمَا جَوَادًا مُطَهَّمًا ، وَسَارَا مَعًا يَطُوفَانِ بِالْغَابَاتِ ، ثُمَّ تَرَجَّلَا وَأَخَذَا يُصَعِّدَانِ فِى الْجِبَالِ ، فَدَمِيَتْ قَدَمَاهَا وَهِىَ لَا تَفْتَأُ تَضْحَكُ وَتَبْتَسِمُ .

وَعِنْدَمَا عَادَا إِلَى الْقَصْرِ ، وَأَوَى كُلُّ مَنْ فِيهِ إِلَى فِرَاشِهِ نَزَلَتْ إِلَى الْبَحْرِ لِتُرَطِّبَ بِمَائِهِ الْبَارِدِ قَدَمَيْهَا الْمُحْتَرِقَتَيْنِ ، فَخَفَقَ فُؤَادُهَا بِذِكْرَى وَطَنِهَا وَأَهْلِهَا .

وَذَاعَ فِي الْقَصْرِ بَعْدَ أَيَّامٍ خَبَرٌ يَقُولُ إِنَّ الْأَمِيرَ يُعِدُّ سَفِينَةً لِلذَّهَابِ بِهَا إِلَى زِيَارَةِ مَمْلَكَةٍ مُجَاوِرَةٍ ، وَفِي نِيَّتِهِ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِنْتَ الْمَلِكِ .



سَمِعَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ هٰذَا النَّبَأَ ، فَاضْطَرَبَتْ لَهُ وَأَزْعَجَهَا ، وَعَلِمَتْ أَنَّ سَاعَتَهَا قَدْ حَانَتْ .

وَبَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ رَكِبَ الْأَمِيرُ وَحَاشِيَتُهُ ، وَفِيهِمْ عَرُوسُ الْبَحْرِ، سَفِينَةً جَمِيلَةً

وَسَارَتْ تمْخرُ بِهِمْ عُبَابَ الْبَحْرِ .

وَفِى الصَّبَاحِ دَخَلَتِ السَّفِينَةُ مِينَاءَ الْمَمْلَكَةِ الْمُجَاوِرَةِ ، فَدُقَّتِ الْأَجْرَاسُ احْتِفَاءً بِقُدُومِهَا وَصَدَحَتِ الْمُوسِيقَى مِنْ أَعَالِى الْأَبْرَاجِ ، وَاصْطَفَّتِ الْجُنُودُ تَحْتَ الْأَعْلَامِ الْخَفَّاقَةِ تُرَحِّبُ بِالْأَمِيرِ .

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ فِى أَعْيَادٍ مَوْصُولَةٍ ، وَمَآدِبَ مُتَلَاحِقَةٍ ، يَسُودُهَا الرَّقْصُ وَالغِنَاءُ وَالْمُوسِيقَى ، حَتَّى عَمَّ الْبِشْرُ كُلَّ حَيٍّ فِى تِلْكَ الْمَمْلَكَةِ .

وَمُنْذُ أَنْ وَقَعَ نَظَرُ عَرُوسِ الْبَحْرِ عَلَى خَطِيبَةِ الْأَمِيرِ الَّتِى سَتُصْبِحُ زَوْجَتَهُ ، أُخِذَتْ بِجَمَالِهَا وَحُسْنِهَا وَرِقَّةِ خِلَالِهَا ، فَغَبَطَتْهَا عَلَى سَعَادَتِهَا ، وَلَمْ تُضْمِرْ لَهَا فِى جَوَانِحِهَا شَيْئًا مِنَ الْحِقْدِ وَالْبَغْضَاءِ .

وَأَزِفَ يَوْمُ زَوَاجِ الْأَمِيرِ ، فَزُفَّتْ إِلَيْهِ عَرُوسُهُ فِى احْتِفَالٍ



بَهِيجٍ شَهِدَتْهُ عَرُوسُ الْبَحْرِ وَهِيَ تُدْرِكُ أَنَّهَا سَتُفَارِقُ عَمَّا قَرِيبٍ هٰذِهِ الدُّنْيَا ، بَلْ سَتُفَارِقُ الْحَبِيبَ الَّذِى مِنْ أَجْلِهِ هَجَرَتْ وَطَنَهَا وَأَهْلَهَا ، وَضَحَّتْ بِصَوْتِهَا الْجَمِيلِ ، وَقَاسَتْ أَشَدَّ الْآلَامِ .

وَحِينَ هَبَطَ الْمَسَاءُ ، رَكِبَ الْعَرُوسَانِ سَفِينَةَ الْأَمِيرِ ، وَذَهَبَا يَقْضِيَانِ شَهْرَ الْعَسَلِ فِى بَعْضِ الْبِلَادِ النَّائِيَةِ ، وَرَحَلَتْ مَعَهُمَا حَاشِيَةُ الأَمِيرِ وَحَاشِيَةُ الْأَمِيرَةِ .

وَقَضَى الْمُسَافِرُونَ لَيْلَةً مِنْ أَسْعَدِ اللَّيَالِى فِى السَّفِينَةِ ،

أُوقِدَتْ فِيهَا الْمَصَابِيحُ فِي طُولِ السَّفِينَةِ وَعَرْضِهَا ، وَعُلِّقَتِ الزِّينَاتُ ، وَدَارَتْ لَذَائِذُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ عَلَيْهِمْ .

أَمَّا عَرُوسُ الْبَحْرِ فَكَانَتْ تُشَارِكُ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْمَبَاهِجِ ، غَيْرَ أَنَّ صَدْرَهَا كَانَ مَمْلُوءًا بِالْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْحَسْرَةِ .

وَعِنْدَ الْهَزِيعِ الأَخِيرِ مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ انْفَضَّ الْحَفْلُ ، وَدَخَلَ الْعَرُوسَانِ مَخْدَعَهُمَا ، وَنَامَ الْقَوْمُ وَسَادَ السُّكُونُ .

وَبَقِيَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ سَاهِرَةً ، وَصَعِدَتْ إِلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ ، وَأَخَذَتْ تُحَدِّقُ إِلَى الأُفُقِ الْبَعِيدِ وَهِيَ تَقُولُ فِي نَفْسِهَا : مِنْ هُنَا سَوْفَ تُشْرِقُ الشَّمْسُ بَعْدَ قَلِيلٍ ، وَلَسَوْفَ أُوَدِّعُ الْحَيَاةَ عِنْدَ ظُهُورِ أَوَّلِ شُعَاعٍ مِنْهَا .

وَعَلَى حِينِ فَجْأَةٍ بَرَزَتْ شَقِيقَاتُهَا مِنَ الْبَحْرِ شَاحِبَاتِ الْوَجْهِ مَقْصُوصَاتِ الشَّعْرِ ، فَقُلْنَ لَهَا :

– « لَقَدْ قَصَصْنَا شَعْرَنَا وَأَعْطَيْنَاهُ السَّاحِرَةَ الْعَجُوزَ ، لِتَشُدَّ أَزْرَكِ

وَتُنْقِذَكِ مِنَ الْمَوْتِ ، فَقَدَّمَتْ لَنَا هٰذِهِ السِّكِّينَ الْحَادَّةَ ، فَخُذِيهَا وَأَغْمِدِي نَصْلَهَا فِي قَلْبِ الْأَمِيرِ قَبْلَ شُرُوقِ الشَّمْسِ ، فَعِنْدَمَا يَنْسَكِبُ دَمُهُ فَوْقَ قَدَمَيْكِ فَسَوْفَ تَتَّصِلَانِ وَتَسْتَحِيلَانِ إِلَى ذَيْلِ سَمَكَةٍ كَمَا كَانَتَا ، ثُمَّ تَعُودِينَ عَرُوسًا مِنْ عَرَائِسِ الْبَحْرِ . فَتَنْزِلِينَ مَعَنَا إِلَى أَعْمَاقِ الْمَاءِ ، وَلَنْ تَحُولِي إِلَى زَبَدٍ إِلَّا عِنْدَمَا تَبْلُغِينَ ثَلٰثَمِائَةِ عَامٍ مِنَ الْعُمْرِ . فَعَجِّلِي وَلَا تَتَوَانَيْ فَقَدْ بَدَأَ خَيْطُ الشَّمْسِ الْأَحْمَرُ يَلُوحُ فِي الْأُفُقِ فَلَا بُدَّ مِنْ مَوْتِ أَحَدِكُمَا ، فَاقْتُلِيهِ وَعُودِي إِلَيْنَا » .

وَغُصْنَ بَعْدَ ذٰلِكَ فِي طَيَّاتِ الْأَمْوَاجِ .

وَمَضَتِ الْعَرُوسُ الصُّغْرَى إِلَى مَخْدَعِ الْأَمِيرِ ، فَدَخَلَتْهُ وَرَأَتْهُ نَائِمًا وَقَدْ أَلْقَتْ عَرُوسُهُ بِرَأْسِهَا إِلَى صَدْرِهِ ، فَاقْتَرَبَتْ مِنْهُمَا ، وَرَفَعَتِ السِّكِّينَ بِيَدٍ مُرْتَجِفَةٍ ، وَنَظَرَتْ مِنَ النَّافِذَةِ الْمَفْتُوحَةِ إِلَى الْأُفُقِ وَقَدْ بَدَأَتِ الشَّمْسُ تَشُقُّ فِيهِ السُّحُبَ

ثُمَّ ... رَمَتْ بِالسِّكّينِ إِلَى الْبَحْرِ ، وَخُيِّلَ إِلَيْهَا أَنَّهَا تَرَى نُقَطًا مِنَ الدَّمِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ السِّكّينُ ، وَنَظَرَتْ نَظْرَةً أَخِيرَةً إِلَى الْأَمِيرِ ، وَأَلْقَتْ نَفْسَهَا فِي الْمَاءِ ، فَشَعَرَتْ أَنَّ جِسْمَهَا يَتَحَوَّلُ إِلَى زَبَدٍ .

وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، وَسَقَطَتْ أَشِعَّتُهَا الْخَيِّرَةُ عَلَى الزَّبَدِ الْبَارِدِ ، فَأَحَسَّتِ الْعَرُوسُ الصُّغْرَى بِحَرَارَةِ الشَّمْسِ ، وَعَلِمَتْ أَنَّهَا لَمْ تَمُتْ ، فَتَطَلَّعَتْ إِلَى الشَّمْسِ وَإِلَى السُّحُبِ الْحُمْرِ الَّتِي تُحِيطُ بِهَا ، وَلَمَحَتْ فِي الْجَوِّ آلَافَ الْمَخْلُوقَاتِ الشَّفَّافَةِ تُرَفْرِفُ فَوْقَهَا ، وَتَهْمِسُ بِنَغَمٍ عَذْبٍ لَا تَسْمَعُهُ أُذُنُ إِنْسَانٍ .

وَلَاحَظَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ أَنَّ لَهَا جِسْمًا قَدِ انْبَثَقَ مِنَ الزَّبَدِ ، وَشَابَهَ أَجْسَامَ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ ، فَتَسَاءَلَتْ حَيْرَى :

— « أَيْنَ أَنَا ؟ »

فَسَمِعَتْهُنَّ يَقُلْنَ لَهَا :

— « أَنْتِ عِنْدَ بَنَاتِ الْهَوَاءِ . إِنَّ عَرَائِسَ الْبَحْرِ لَيْسَ لَهُنَّ نَفْسٌ خَالِدَةٌ ، وَلَا يُمْكِنُهُنَّ الْحُصُولُ عَلَى تِلْكَ النَّفْسِ إِلَّا بِقُوَّةِ الْحُبِّ الَّذِى يَخْتَلِجُ فِى قَلْبِ الرَّجُلِ ، وَنَحْنُ بَنَاتِ الْهَوَاءِ ، لَيْسَ لَنَا كَذَلِكَ نَفْسٌ خَالِدَةٌ ، وَلَكِنْ نَسْتَطِيعُ الْحُصُولَ عَلَيْهَا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، فَنَطِيرُ إِلَى الْبِلَادِ الْحَارَّةِ لِنُرَطِّبَ الْجَوَّ ، وَنُنْقِذَ النَّاسَ مِنْ لَهَبِ الْحَرِّ ، وَنَبُثُّ الْجَوَّ عِطْرَ الْأَزْهَارِ ، فَحَيْثُمَا مَرَرْنَا ، نُنْعِشُ النَّاسَ وَنَهَبُهُمُ الصِّحَّةَ ، فَإِذَا امْتَدَّتْ أَعْمَالُنَا الصَّالِحَةُ إِلَى ثَلَاثِ مِئَةِ عَامٍ ، نَكْسِبُ بَعْدَهَا نَفْسًا خَالِدَةً ، وَنُشَارِكُ النَّاسَ فِى سَعَادَتِهِمُ الْأَبَدِيَةِ » .

وَسَكَتْنَ قَلِيلًا ثُمَّ أَرْدَفْنَ قَائِلَاتٍ :

— « وَلَقَدْ بَذَلْتِ أَنْتِ أَيَّتُهَا الْمِسْكِينَةُ نَفْسَ مَا نَبْذُلُ مِنْ جُهْدٍ ، فَتَعَذَّبْتِ كَمَا نَتَعَذَّبُ ، وَخَرَجْتِ مِنْ تَجَارِبِكِ



فَائِزَةً مُنْتَصِرَةً ، وَارْتَفَعْتِ إِلَى عَالَمِ أَرْوَاحِ الْهَوَاءِ ، فاعْتَمِدِى فِيهِ عَلَى صَالِحِ الْأَعْمَالِ تَكْسِبِى نَفْسًا خَالِدَةً » .

فَرَفَعَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ ذِرَاعَيْهَا إِلَى السَّمَاءِ وَذَرَفَتِ الدَّمْعَ .

وَكَانَتِ الْحَيَاةُ وَالْجَلَبَةُ قَدْ عَادَتَا إِلَى السَّفِينَةِ ، فَرَأَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ الْأَمِيرَ وَزَوْجَتَهُ يُطِيلَانِ التَّحْدِيقَ إِلَى الْمَوْجِ الْمُزْبِدِ ، وَالْكَآبَةُ مُرْتَسِمَةٌ عَلَى وَجْهَيْهِمَا ، كَأَنَّهُمَا عَرَفَا أَنَّهَا أَلْقَتْ بِنَفْسِهَا فِى حِضْنِ الْمَاءِ .

كَانَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ بِإِزَائِهِمَا ، وَلَكِنَّ أَعْيُنَ الْبَشَرِ لَا تَرَى الْأَرْوَاحَ الشَّفَّافَةَ ، فَابْتَسَمَتْ لِلْأَمِيرِ ، وَطَبَعَتْ قُبْلَةً عَلَى خَدِّ زَوْجَتِهِ ، ثُمَّ رَكِبَتْ سَحَابَةً وَرْدِيَّةً فِى صُحْبَةِ جَمَاعَةٍ مِنْ بَنَاتِ الْهَوَاءِ ، وَحَلَّقَتْ فِى كَبِدِ الْفَضَاءِ...



أسئلة فى القصة

١ – من أى شىء بنى قصر ملك البحر ؟
٢ – ما الصفة التى كانت تغلب على العروس الصغرى ؟
٣ – ماذا روت الأخت الكبرى عند ما عادت من رحلتها ؟
٤ – صف السفينة التى رأتها الأخت الصغرى حين برزت من الماء ؟
٥ – ماذا فعلت لما هبت العاصفة وغرقت السفينة ؟
٦ – بماذا حدثتها جدتها عند ما ذهبت إليها تستوضحها شؤون البشر ؟
٧ – كيف تستطيع عروس البحر أن تكسب نفساً خالدة ؟
٨ – ما الذى كان فى كف ساحرة البحر وحول صدرها ؟
٩ – بأية وسيلة تخلصت عروس البحر من ذيلها وماذا تحملت فى هذا السبيل ؟
١٠ – ما المصير الذى كان ينتظر عروس البحر لو أعرض عنها الأمير وتزوج أخرى ؟
١١ – أى أجر طلبته الساحرة من عروس البحر لقاء مساعدتها ؟
١٢ – هل غنت عروس البحر فى قصر الأمير وهل رقصت ؟
١٣ – أحقدت عروس البحر على عروس الأمير ؟
١٤ – على أى حال برزت شقيقات عروس البحر وماذا أعطينها ؟
١٥ – هل قتلت عروس البحر الأمير وماذا صنعت بنفسها ؟
١٦ – كيف تستطيع بنات الهواء اكتساب نفس خالدة ؟
١٧ – اكتب هذه القصة بأسلوبك وإنشائك .